الإهداء

إلى «شهداء مصر» والذين دفعوا «ثمنًا» باهظًا لخلاصها من نير نظام فاسد ومستبد ورووا بدمائهم «شجرة الحريّة»، وصنعوا من يوم «٢٥ يناير» مُعجزة «ثورية» نادرة الحدوث في التاريخ الإنساني وتجاربه الثوريّة المجيدة.

نجاح العشري

obeikandl.com

obeikandl.com

شكر خاص للمؤلف

«لا يسعنا في هذا المقام إلا أن أقدم شكري المستطاب وجزيل عرفاني للأستاذ / أشرف كمال زكي على قيامه بإعداد هذا الكتاب وسابقه بأسلوبه الفني المتميز ، وإمداده لنا بمعلومات هامة من خلال شبكة الإنترنت، علاوة على تميزه بالأخلاق الطيبة والخصال الحميدة .. كما أقدم شكري وعرفاني لأخي الكبير السيد العشري لدوره في حياتنا وتعليمنا، ولتحفيزه لنا بالكتابة بشكل مختلف عن الآخرين.. فلهما كل المودة وكل التقدير على دورهما في إتمام هذا المؤلف...»

نجاح العشري

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة لابد منها

مما لا شك فيه أنّ الكتابة عن السَّادات وحياته ومنهجه ومشروعه السيّاسي ومواقفه الصراعيّة هي في واقع الأمر «كتابة شاقة» و«عسيرة» أيضًا، وذلك لتشابك الأحداث واحتمال تأويلها وتفسيرها وتناقض التأويلات والتفسير في الواقعة الواحدة بين «وطنية المقصد» و«خيانة الوطن».. كما أن «الموضوعيّة» و«الحياديّة» في الدراسات الإنسانية ومنها «السياسيّة»، وخاصة لمن ينتمون إلى تيار يخاصمون السَّادات على طول الخط، تكون «الموضوعية» أكثر صعوبة وأكثر تعقيدًا، فما أسهل الاتهامات الموجهة إلى السَّادات من قبل هذا التيار، وما أسهل إثبات دلالاتها من بعض الشخصيات الناصريّة «الدوغمائية»، وهم الذين لا يقبلون تغيير رأيهم بسهولة ويسر حتى لو بدا لهم عكس ما يرون.. فالسَّادات في نظر خصومه من السياسيين صاحب «الثورة المضادة»، والتي ناقضت فكر عبد الناصر ومكاسب ثورته، وهو الذي ساهم في تشويه الرجل، وجعله ديكتاتورًا، وسمح لعديد من الكتاب بالإساءة لعبد الناصر، كما أنه أضاع مكتسبات حرب أكتوبر ١٩٧٣، وجعلها حرب «تحريك»، وليس حرب «تحرير»، وهو الذي رفع شعار «مصر أولًا وقبل كل شيء»، بعد أن منح ظهره للعرب واستهزأ بهم، واتجه صوب أمريكا وإسرائيل، وجعل ٩٩٪ من أوراق قضية الشرق الأوسط في يد أمريكا وإداراتها.. كما كانت زيارته «المشؤومة»، والذهاب إلى القدس، وعقد اتفاقيته «الاستسلاميّة» مع إسرائيل وكانت هي الجنوح بعينه، والفيصل في انقطاع علاقته بالعرب وبمعارضيه في الداخل.

والسادات حسب زعمهم هو في أول الأمر وآخره ناكر لجميل عبد الناصر، والذي أصر على ضمه لتنظيم الضباط الأحرار رغم معارضتهم بسبب انتمائه للحرس الحديدي «الملكي»، وتورطه في القيام باغتيال الشخصيات السياسيّة المعروفة، وعلى رأسها «مصطفى النحاس».. كما أنه بعد أن تولى حكم البلاد والعباد بعد وفاة عبد الناصر انقلب على رجاله ومعاونيه وثورته، فأضاعهم جميعًا، ولم يبق، ولم يذر.. فالرجل بطبيعته شخصية «انقلابية» و«تآمرية» منذ أن مارس السياسة.. إلخ.

-وهذا لعمري منطق يسير على «قدم واحدة»، ويمشي مشية عرجاء.. فالنظر إلى حكام مصر وشخصيتهم «ومنهم السادات» لا يكون بتقصد الأخطاء والمآخذ وذكر السلبيات وفقط، وإنما أيضًا بالنظر إلى السادات«وغيره من الشخصيات التاريخية» بعينين واسعتين،تنظر إلى

الأخطاء والمثالب والسياسات «الخاطئة» ، وتنظر إلى الإيجابيات والمحاسن والمكاسب والمنجزات دون شطط في الرؤية وهوس في النقد وغرض في التجريح وسلب المحامد.

-فالسادات هو الذي صنع حرب أكتوبر بقراره التاريخي، ونجح مع قواتنا المسلحة في اقتحام خط بارليف، وتجاوز الصعاب ، وتفوق في تضليل الصهاينة والتمويه عليهم.. وشرخ نظرتهم الاستعلائية وأصابها في مقتل وضرب ذراعها الطويلة في الصميم، وهو الذي استعاد أراضي سيناء مهما كان خلافنا حول إدارته للمعركة وعودة «أرض الفيروز» للأراضي المصرية منقوصة «السيادة» منزوعة السلاح.. كما أن الرجل في عهده – مهما كان عدد المعتقلين – لم يكن للتعذيب شأن أو منهج ، فتميز عصره بانعدام التعذيب أو كاد كما ذكر خصومه السياسيون.

ففي المجمل نرى الرجل اجتهد وأن اجتهاده السياسي كان يتقصد به الصواب، وأنه كان يأمل لشعبه أن يعيش في كريم عيش وحياة يسودها الكفاية ، بل والرخاء والسلامة من الحروب والأزمات الخانقة.

فما أحوجنا أن نعيد النظر في حياة الرجل، والذي ظل في نظر خصومه «ممثلًا» و«بهلوانًا» و«ضد العرب والعروبة» و«ضد الثورية» و«شخصية انقلابية» و«تآمرية».. بينما هو في نظر محبيه «سياسي مخضرم» و«أعاد الكرامة المصرية والعربية» للجيش المصري بعد إهدارها في أيام «النكسة»، وأعاد «أراضي مصر» بعد حرب مشرفة، وحاول استعادة حقوق الشعب العربي الفلسطيني، وأخلص الرجل لوطنه وأمته، ولم يكن يومًا «خائنًا» أو عميلًا».. فربما كانت أخطاؤه «فادحة»، وحساباته «خاطئة»، ورهاناته «فاشلة»، ولكن هذه الأخطاء «الفادحة»، والحسابات «الخاطئة»، والرهانات «الفاشلة» لم تخرج «السادات» عن ملة «الوطنية» أو تخرجه عن «عقيدة الانتماء الوطني»، أو تصمه بالمروق والكفران السياسي.

-والحقيقة التي لا نستطيع الفكاك من عقالها هو أنّ الكتابة -دائمًا- تخضع للظروف الموضوعية للكتب، وكذا الأجواء المحيطة به، لأنه لا يعيش في فراغ.. كما أن الكتابة «الإنسانية»، والدراسات المتعلقة بها لا تكون «حيادية» و«موضوعية» بمفهوم القضايا العلمية البحتة، ولكن تكون فيها انتظامية مقبولة تشعر من يقرؤها بأنها موضوعيّة.. وهذه حقيقة لا يمكن إغفالها أو تجاوزها بأي حال من الأحوال.

-فما مرت به مصر من اندلاع ثورة مبهرة أعجزت العقول عن تخيلها وفهم إرهاصات حدوثها وتأججها بهذا الشكل الملغز والمعجز.. وما أسفرت عنه ثورة «٢٥ يناير» من انكشاف عصابة منظمة ومؤسسة لسرقة وتجريف عقولها ونهب ثرواتها على مدى ثلاثين عامًا، وما تم في هذه المدة الزمنية من تبعية مصر لأمريكا وخضوعها لإسرائيل ولأهدافها «التوسعية»، وفقدان مصر لدورها العربيّ والإقليمي في ظل حكم مبارك «المخلوع»، مما جعل مصر «مضغة» في الأفواه، وافتقاد وضياع قيمتها العربية والدولية، واغتراب مواطنيها واستشراء قيم الفساد وتجذيره في عصب المجتمع المصري!!!!

-وأشهد أنّ هذه الأجواء «العصيبة» وما تلاها من ثورة «عارمة» أضافت لمصر دورها «الرائد»، وأعادت صياغة وجودها من جديد.. جعلت هذه الأجواء من الكتابة عن شخصية «السادات» مسار آخر تستدعى في الذهن الحكمة العربية القديمة «وبضدها تتميز الأشياء».. وإن كان اختيار «مبارك» من مسؤولية السادات «التاريخية»!!

-كما كان من تجليّات الثورة «المصرية» خروج أعداء «السادات» وخصومه السياسيين من الجماعات الإسلامية المتشددة وعلى رأسهم «عبود الزمر»، والذي لم يشعر قط «بعقدة ذنب»، ولم يعلن اعتذاره عن مقتل السادات أو أنه أخطأ في تنظيم أهدر دمه، ولكن ذكر أمام الإعلام المصري «أن السادات كان أرحم من مبارك»، بل نسب إليه قوله: « أننا لو كنا نعلم أن قتلنا للسادات سوف يأتي لنا بمبارك ما كنا أقدمنا على قتله..».

-هذان الأمران كافيان في إعادة النظر في مناقشة حياة السادات وسياساته والنظر إليه برؤية نقديّة تذكر له الإيجابيات وما عليه من سلبيات ومآخذ.

-على العموم نحن كتبنا أربعة فصول عن السادات.. أولها عن حياته وجذوره وملامح قريته، وتأثيرات جدته ، وتنقله من القرية إلى القاهرة، ودوره في تنظيم الضباط الأحرار، وعلاقته بعبد الناصر، وعلاقته بالحرس الحديدي والألمان، وقضية الاغتبالات السياسية الكبرى، وموقفه من الثورة، وليلة قيامها ، وما أثير حول ذلك، وغيرها من الموضوعات بين مؤيد ومعارض، وما بين محب له ومبغض لشخصه، والروايات المتناقضة في هذا الشأن ورأينا فيما حدث.

-وطرحنا في الفصل الثاني مشروع السادات السيّاسي وشرعية حكمه التي تحولت من انتمائه لتنظيم الضباط الأحرار وثورة يوليو ١٩٥٢ إلى شرعية جديدة لم تحدث من قبل وهي نجاحه إلى حد كبير في إنجاز حرب أكتوبر، وكيف أسس لأركان حكم من خلال أربعة أركان، وهي الانفتاح الاقتصادي ،والصلح مع إسرائيل، والتحالف مع الغرب، والديمقراطية المحكومة أو المقيدة، وما أثير حول أركان مشروعه، والذي كان يأمل أن يسود الرخاء والسلام بعد أن جعل من حرب أكتوبر «المجيدة» آخر الحروب، وناقشنا الآراء المتعددة حول هذا «المشروع» ، ورأي المحبين والمؤيدين، ورأي الخصوم السياسيين لهذا المشروع ، وما قام به من زيارة للقدس تسببت في ضياع التضامن العربي، والذي تجلى في أروع صوره في حرب أكتوبر ١٩٧٣ «رمضان ١٣٩٣هـ» !!!

-وعرضنا في الفصل الثالث: مواقف السادات وصراعاته مع خصومه منذ ما حدث من «انقلاب مايو» ضد مراكز القوى رجال ناصر ومعاونيه ، وما أثير من روايات في هذا الصدد، وكذا الموقف المفاجئ، والذي أصر فيه السادات على طرد الخبراء السوفييت في مفاجأة «مذهلة» و«صدمة كهربائية» لكل المراقبين السياسيين ، وموقفه من الانتفاضة الشعبية عام ١٩٧٧ ، وما أصابت «السادات» من عقد أثرت على منهجه ودفعته إلى التوجه لزيارة القدس بعد أن أصابته هذه الانتفاضة «بشرخ في شرعية حكمه» ، مما جعله يصفها دومًا بـ«انتفاضة الحرامية»!!!

-كما طرحنا في الفصل الرابع من الكتاب حقيقة مقتل السادات ونهايته الدراماتيكية «المفجعة»، وكيف حدث مقتله ومصرعه بين أركان جيشه، ومن الذي قام بهذا العمل «المأساوي»، وناقشنا نظريات «المؤامرة»، والتي تعددت بين مسؤولية أمريكا والجيش المصري «وقتئذ» ، والدور المزعوم للقذافي وسعد الدين الشاذلي، فيما أطلق عليه بعض المؤلفين الإسرائيليين عملية «البريه الأحمر».

-وما أود أن ألفت النظر إليه في نهاية مقدمتي هو أنه : حينما شرعت في كتابة هذا الموضوع «السادات ما له وما عليه» حتى وجدت صديقي الناشر «فتحي محمَّد هاشم» يطالبني بأن أكون منصفًا للرجل عادلًا في رؤيتي له، ولا أسير نحو «الصوت الزاعق» من كثير من خصومه السياسيين، والذين يحملون الرجل أوزار العالم، فهو في نظر الغلاة منهم «خائن للأمة» و«عميل لأمريكا وإسرائيل»، والذي قاد الثورة المضادة ضد مكتسبات عبد الناصر وإنجازاته الاجتماعية والاقتصادية، وحاول أن يمحو صورة عبد الناصر ودوره العربيِّ والأفريقي ، ويشوه حياته الشخصية ، ويصفه بالمهزوم والديكتاتور..!!

وكان ردي دائمًا أنه من الغفلة وعدم الأمانة أن أنقص الرجل حقًا هو له ، أو ألصق تهمة لم يفعلها، وإنني حريص على «الموضوعية» ما استطعت وملتزم بها دون تهويل أو تهوين.

-وكما نبهني إلى هذه «الملحوظة» الناشر كان أخي «مروان العشري» يداوم متابعة ما أكتب مبديًا أيضًا العديد من «الملاحظات»، والتي كان قد قرأ عنها، والتي يرى أن هذا الرجل لم يحصل على حقه فيها، ويحتاج إلى إنصاف الكتاب والباحثين السياسيين، وتمنى عليّ أن أكون من هؤلاء المنصفين للرجل.. وكان ردي عليه أيضًا هو أن هناك أمانة في العرض لابد أنّ نحرص عليها ونداوم على تحقيقها، ونتمنى فوق ذلك التوفيق من العلي القدير أن يساعدنا على ذلك.

-فما مقصدنا من كتابة هذا الموضوع «الشائك» سوى البحث عن الصواب، وسلوك الطريق الجاد ، والاجتهاد نحو البحث عن الحقيقة، وانجلاء الأمور ما وسعنا «الطاقة» و«الأمر» ، والله المستعان دائمًا على المشاق ووعورة الكتابة وهو الهدف والمرتجى في كل أمر وفي كل حين.

نجاح العشري

المنصورة

الأحد

٣ من يوليو ٢٠١١ م

٢ من شعبان ١٤٣٢ هـ

الفصل الأول
حياة السادات بين الحقيقة والإدعاء